عزيزتي «أكتوبر» عمرها أربع سنوات !!

محمود عبد المنعم مراد

هذه المجلة – أكتوبر – مضت على صدورها أربع سنوات ، وهي في حساب أعمار الصحف والمجلات لا تعدو أن تكون فترة الولادة ، لا فترة الحضانة وتعلم المشي والكلام . ومع ذلك فقد ولدت هذه المجلة . تمشي وتتكلم وتصيح ، وكأنها في عنفوان الشباب .

وإذا كانت أكتوبر اليوم تحتفل بعيدها الخامس ، فإنها تقف وسط زميلاتها اللاتي تحتفل بالعيد الخمسين أو المئتين . شامخة وطيدة الأركان رافعة الرأس . تسعد بتقدير قرائها في كل مكان من العالم العربي .

أنيس منصور

التحرير

ومجلة أكتوبر نتيجة من نتائج حرب أكتوبر العظيمة . إنها وليدة عصر جديد . عصر النصر والثقة بالنفس . عصر البناء والسلام والعلم والعمل . ولذلك اختارت اسمها من اسم الشهر الجيد . واستطاعت أن تعبر عن هذا النطق الكبير في تاريخنا الحديث . فحاولت مجلة جديدة في كل شيء . في شكلها ومضمونها . في ورقها الملون المصقول . وفي معالن كلماتها . وفي توزيعها واخراجها واختيارها لكل ما يهم القارىء الجديد . في عنصر ما بعد العنصر الكبير .

وكم أسفت لأني لم أشارك في الاحتفال بمولد عددها الأول . وبعد عامين أو أكثر من صدورها . دخال الرجل العزيز أنيس منصور . إلى الكتابة فيها . وذهشت من هذا العرض . فقد كنت قد توقفت عن الكتابة في الصحف والمجلات أكثر من عشرين عاما . فهل تمكنني أن أساهم العمل بعد كل هذه الفترة من الوقت ؟ وأخبر الرجل على أن أحاول . وحاولت ومضيت في الطريق . وأحسست بلذة المشاركة في عمل ناجح رائع . وفي كل صباح . عندما أكون في طريق من منزلي الى مكان عملي . أقرأ فوق كوبري ٦ أكتوبر . وأرى اسم باطري كلمة أكتوبر عالية زاهية فوق مبنى دار الهلال . فاحس بأن حرب أكتوبر قد ولدت أكثر من مولد نجاح . وعيد ميلاد ، وأن مجلة أكتوبر – أكتوبر – مضت على صدورها أربع سنوات ، وهي في حساب أعمار الصحف والمجلات لا تعدو أن تكون فترة الولادة ، لا فترة الحضانة وتعلم المشي والكلام . ومع ذلك فقد ولدت هذه المجلة . تمشي وتتكلم وتصيح ، وكأنها في عنفوان الشباب .

وإذا كانت أكتوبر اليوم تحتفل بعيدها الخامس ، فإنها تقف وسط زميلاتها اللاتي تحتفل بالعيد الخمسين أو المئتين . شامخة وطيدة الأركان رافعة الرأس . تسعد بتقدير قرائها في كل مكان من العالم العربي .

ولدت أكتوبر من رحم المعاناة . هذا الكوبري وهذه المجلة . وعشرات من الأعمال الكبرى . والأبنية الضخمة والأنفاق . والمشروعات التي تغير حياتنا وتغيرنا من عصر التخلف إلى عصر الحضارة المعاصرة والتطلع الى المستقبل الزاهر .

وأنا أكتب من خارج مجلتها . ولكني أشعر أنها هي في داخلي . وأنها جزء مني . كما أني جزء منها . ولقد مضيت لقراءة عاشر وأنا أكتب فيها كل أسبوع . ولم أنقطع الا مرات نادرة . رغما عني . لظروف قاهرة . وأحس أني بدأت معها حياة جديدة . وأرفض بأنها ستمضي في الطريق وتكبر وتزداد نورها بهاء . لأنها مجلة أصيلة تجمع بين الجدة والمتعة . ولا تقلد ولا تحاكي . بل تعبر عن ذاتها تعبيرا صادقا مختلفا

وليست أريد أن أطيل في الحديث عما حققته أكتوبر . من انجازات رائعة خلال هذه السنوات القليلة . فقراؤها يدركون ما تبذله من جهد في سبيل الفوز بالسبق الصحفي . والأحاديث الهامة التي تنفرد بها وكالات الأنباء والصحف ودور الاذاعة في العالم كله . إنها ولدت لتعيش وتبقى وتتطور . وتحافظ عليها في كل الأحوال . مثلما يظل نصر أكتوبر العظيم يضيء في صفحات التاريخ على مدى الدهر والأجيال القادمة .

تحية وتهنئة وشكرا لأكتوبر . وللقراء الأعزاء . في مستهل عامها الخامس .

المقاومة مستمرة

كنت بين وبين نفسي أعتقد أن المشكلة الأفغانية في طريقها الى النسيان . تحت وطأة الأمر الواقع في أفغانستان نفسه . وبدون مقاومة – لا أجد حماسة مستديمة من قبل المجتمع الدولي عامة . والمجموعة الإسلامية خاصة . لمساندة الشعب الأفغاني في محاولاته للخلاص من الاحتلال السوفيتي . فقد طال الاحتلال . والروس يقاتلهم بمدافعهم ودباباتهم بصواريخ على هواهم دون رحمة . ويقتلون الناس بالجملة والقطاعي . ولكن فجأة وبغير توقع . ترتفع صوت أفغاني وسط الأحياء والأنقاض . يصرخ قائلا إن الشعب الأفغاني لا يزال يقاوم .

وكان ذلك الصوت . هو الخطاب الذي ألقاه رئيس الوفد الأفغاني في المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو الدولية المنعقد في بغداد . وأمام أكثر من مائة وخمسين وفدا حضروا المؤتمر من جميع أنحاء العالم . قام المندوب الأفغاني يلقي خطابه .

فإذا به يهاجم حكومة كارمال العميلة . ويهاجم الاحتلال السوفيتي . ويطوف إلى الروس يقتلون النساء والأطفال . وإن نسعين في المائة من الشعب الأفغاني يعادي حكومته ومن ورائها الجيش الروسي ويقتل الخاضعون لحمه . وتناقلت الإذاعات العالمية ووكالات الأنباء هذا الخطاب . وأخذ كل يستعيض الاهتمام والتنويه به والوقوف عنده .

والمندوب الأفغاني الحر الذي فعل هذا . ترك زوجته وبعض أطفاله يعيشون في كابول . وقد فكر في بادىء الأمر أن يعود إلى وطنه بعد إلقاء خطابه ويواجه العقاب الذي سيحل به كبقية كبار . ولكنه آثر أن يعتبر البوت لا محالة فيعود إلى أفغانستان . قائلا حق التعبير السياسي بها . مفضلا أن تتمكن أسرته من مغادرة أفغانستان . والالتحاق به في منفاه . وإن كان ذلك أمرا غير محتمل

وأهمية الحادث أنه جدد الاهتمام بالمشكلة الأفغانية . ونبه الأسماع إلى صوت يأتي من المجتمع الدولي قائلا : وإذا كانت أفغانستان هي الآن الضحية . فإن سكوتكم عليها سوف يجعلكم تتفرجون ضحايا أخرى دولة بعد دولة . ومن حق المواطنين أن يختاروا قيم الآخرين مساعداتهم ومساندتهم . ولا يمكن للعالم أن يساعد شعبا لا يريد هو أن يدفع بعض الثمن . والواضح أن الأفغان يدفعون الكثير . ولهذا فهم يستحقون الكثير من المساعدة أيضا

ويجب ألا تمر أزمة أفغانستان دون عواقب . يجب أن يظل العالم يقظا بعيون مفتوحة . لأن الخطر سوف يهدد الجميع . إذا ما عمد المجتمع الى الاستسلام للأمر الواقع

الرهائن وحرب الخليج

ان ايران التي تتوقف الدماء منذ أكثر من شهر . في حرب لا تعرف نهايتها . تجد لديها فسحة من الوقت الطويل لتبحث في بحث مشكلة الرهائن وتتضارب الأقوال والتصريحات وتجتمع البرلمان في جلسة علنية خاصة . ثم في جلسات مغلقة متعاقبة . ولا أجد يدري – حتى كتابة هذه السطور – كيف تنتهي هذه المشكلة . ولا يزال الإيرانيون يحتارون الشروط التي ينبغي على الولايات المتحدة أن تقبلها حتى يطلق سراح رهائنها . ولا يزال الأمريكيون يتأرجحون بين التفاؤل والتشاؤم والأمل في رجوع الرهائن الى بلادهم قبل اجراء الانتخابات الرئاسية . وحبة الأمل في ذلك .

ومهما قيل ويقال في تصريحات زعماء ايران . فسوف يظل حاضرهم لغزا غير مفهوم . انهم يتركون الحرب دائرة على حدودهم مع العراق . والضحايا يسقطون بالعشرات والمئات . والقنابل تهوي وأنسة الدار تشتعل في المدن والمنشآت . وهم يتحاورون في موضوع آخر . كأن كل شيء على ما يرام . والأمور تسير سيرها العادي في هدوء كامل .

وهم يطلبون من الولايات المتحدة أن تعتذر . وأن تتعهد بإعادة أموال الشاه السابق . وبعدم التدخل في شئون ايران الداخلية . هذا في الوقت الذي تتهال عليها فيه قنابل العراقيين الحارقة والقاتلة . وهم لا يبدون تحركا واضحا . ولا يعتبرون وقف حملة مرسومة . وكل همهم هو اذلال أمريكا . وخاصة في هذا الوقت بالذات . قبل اجراء الانتخابات . حيث يكون لعودة الرهائن الرجا الحاسم في الحركة

والأمريكيون يصرخون ويشكون قلوب الأرض من حجم رهائنهم الخمسين . منذ أكثر عدد شهرا وكأن حجز خمسين شخصا مسألة لا تمثل أهمية ولا خطورة . مع أن أي حادث لطائرة أو أتوبيس يمكن أن يودي بحياة خمسين

كارتر

صدام حسين

السادات

بجن

أو سبعين أو أكثر. فما بالك بأرقام يقتل مئات الألوف. وغير الحادث فيها يلعب فيه الحظ أن يقتل مليون انسان. وكان شيئا لم يحدث.

قد يقال إن الأمريكيين يقدسون حقوق الانسان. ويقدرون قيمة حياته من الحرية والكرامة. وقد يقال إنهم قاصمون لضياع هيبتهم. ومرتعة كبريائهم في الداخل. ولكن مهما يكن ما يقال. فالحقائق واضح أن أنهم أقاموا الدنيا وأقعدوها. وجعلوا من هذه المسألة قضية تشغل بال الناس جميعا. فذلك هو الذي أغرى زعماء ايران بمواصلة احتجاز الرهائن. ولو كان رد الفعل الأمريكي يتسم بالقدوء واللا مبالاة. في الظاهر أن يكون موقف الايرانيين قد تغير.

ويبقى السؤال الذي يشغله الناس. أهناك صلة بين موضوع الرهائن. والحرب العراقية الايرانية؟ أنا شخصيا أعتقد أنه لا صلة بين الموضوعين. ولو كان صدام حسين يتهم كارتر بمؤازرة ايران ومساعدتها بنظم الأقماع عن الرغبة الأمريكيين بينما الحقيقي يتهم أمريكا بدفع العراق الى غزو أراضيها لاسقاط حكومته واطلاق سراح الرهائن.

وهذا أعلم لما يجري وراء الأستار. في العراق وايران وأمريكا أيضا.

الحرب وعقوبة الأعدام

وفي الوقت الذي تنشر فيه الحرب الصغيرة في عدد كبير من أنحاء العالم. وتركب حوادث الأغتيال السياسي بصورة غير مألوفة في التاريخ كله. في هذا الوقت ترتفع أصوات كثيرة في عدد كبير من البلدان. تطالب بالغاء عقوبة الأعدام. فهل يمكن الجزئية التي ارتكبت وكان لابد فيها من القوة.

والقضية مطروحة منذ أعوام كثيرة. يبحثها رجال الدين والقانون والاجتماع والفلسفة. كما يبحثها الناس العاديون في كل مكان. ويتساءلون. هل من حق المجتمع أن يسلب حياة انسان خلقه الله. مهما ارتكب من جرائم؟ وهل السؤال ذو الرد ردود. وخاصة من رجال الدين الذين يؤمنون بالقصاص. وبأن في القصاص حياة.

وأذكر أني كتبت في هذا الموضوع منذ قرابة ربع قرن من الزمان. وعرضت دعاوى المؤيدين والمعارضين. وليست أريد أن أكرر ذلك. فالأمر متروك للجميع يفكرون فيه على مواهيم. ولكن الذي أريد أن أقوله في هذا الصدد. أن الناس الذين يهمهم هذا الموضوع. من كبار المفكرين في دول كثيرة متعددة. يتحدثون عن مسألة لخص عددا في الخرين. لا يتجاوز عدد من يعد فيهم حكم الأعدام. بضعة الآلاف في العالم كله في السنة. بينما تطلع الحروب مئات الألوف. بل الملايين وعشرات الملايين. وتعجز البشرية بكل ما لديها من فكر وحضارة وتقدم علمي. عن أن توجد كلمتها للوقوف ضد الحرب. والقناع جميع الدول بعدم خروج جيوشها الى مع بعد حدودها الاقليمية.

لا ترتفع الأصوات بضرورة الغاء الحروب. قدر ما ترتفع بضرورة الغاء حكم الإعدام. صحيح أنه عقب الحرب العالمية الثانية. كانت السياسة الروسية تهدف الى ترويج شعار السلام. في العالم كله. وكان الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت يحرك الجماهير في كل مكان وراء هذا الشعار ويشتي اللجان القومية لحركة السلام. يقيم أعياد الشباب في عواصم الكتلة الشرقية يرددون كلمة السلام بجميع اللغات الحية. ولكنها كانت سياسة تستوجبها ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث خرجت روسيا محطمة مهشمة. تريد فسحة من الوقت تنفس فيها. وتبني ما تهدم وتعوض خسائرها. وهي بينا عشرون مليونا من الأنفس. ثم مضت الأعوام من الأربعينات الى الخمسينات والستينات. وأخذت الخراج الروسية تلتم ويوجد الاتحاد السوفيتي أنه وقف على قدميه. فإذا بالشعار الذي رفع لواءه يتوارى. وإذا سياسة جديدة تظهر على المسرح الدولي. وتتطور مرحلة بعد أخرى. الى أن أصبحت السياسة السوفيتية لا خلاف ولا جدال حولها. من الأمة القواعد. والأخرة في مختلف قارات العالم. الى الجيشة والسيطرة. والذرى السائر!

ولم يعد أحد يتكلم عن السلام. وإن كان كثير من المفكرين والفلاسفة. يتحدثون عن الغاء عقوبة الأعدام. كما في الحل الأخير لمشكلات العالم.

قنديل أم هاشم

كلام كثير سمعته وقرأته عن القصر الأدبي. وما يجري له حين يتحول الى فيلم سينمائي أو تلفزيوني.

ويساءل الكتاب. فإذا بعضهم يرحبون. وبعضهم يرفض خوفا على أنهاهم الأدبية وطبيعة الخيال. ليس هناك وجه للمقارنة بين التعبير الأدبي المكتوب للقراءة. والرؤية السينمائية أو التلفزيونية القائمة على تتابع الصور. فالوسيلتان المختلفتان تختلفان. وإن كانت احداهما تستند في وجودها على الأخرى.

وقد تصادف أن شاهدت عملا أدبيا تحول الى رواية تلفزيونية. فلم أحالك نفسي من أن أحزن وتأسى. وقد سبق أن قلت إن الوسيلتين تختلفان ولا وجه للمقارنة بينهما. ولكن هناك وجها للمقارنة. فيما يتركه كل من العمل الأدبي والعمل السينمائي في النفس من أثر. وكم كان الفرق كبيرا بين الأثر الذي تركه العمل الأدبي في نفسي. والأثر الذي تركه هذا العمل التلفزيوني الذي بدد منعي في ليلة من ليالي الأسبوع الأخير.

والعمل الأدبي هو قصة: قنديل أم هاشم. والكاتب هو ذلك الرجل الفنان المجهول المتكبر يحيى حقي. والقصة منشورة. لا أدري أين وبمناسبة من موضوع هام يستطيع أن يقول فيه الشرق والغرب. أو الحرافة والعلم. أو الاحتكام والطب أو غير ذلك. وجزء هام من العمل الأدبي. يتبلور حول النمط أو الأسلوب وكلمات يحيى حقي كلمات نفسه. رقيقة حساسة موحية في تواضع واستحياء. كاتب لا يداري بأعلى صوته ليسمعه الناس. ولكنه يهمس. فيسمعه عدد أكبر. وأسلوبه أبي دون تصنع. سهل دون تسرع. ورائق كماء الجدول العذب. والعمل كله من أروع ما كتب في أدبنا الحديث.

وقد عمد بعضهم الى تحويل هذه القصة الرائعة الى رواية تلفزيونية. وكانت التجربة فاشلة الى درجة مؤسفة. فليس كل ما يكتب من أعمال أدبية صالحا لأن يمثل على الشاشة الكبيرة أو الصغيرة. وقد وقع المسئولون عن الفكرة هذه الفكرة في أكثر من مأزق. كان من بينها ذلك المشاهد الذي يرى فيه تعليم بطل القصة في الخارج. وهل يدور الحوار بالانجليزية أو بالعربية. فجاء الحوار خليطا سخيفا من اللغتين والمعاني التي يقصدها المؤلف الكبير. واستطاع التعبير عنها برقيق اللفظ والأسلوب المعبر. فعبرت عن أبعادها حركات الممثلين والممثلات. ولم تستطع الارتفاع الى مستوى النص الأدبي.

ولا أعرف رأي استاذنا الكبير يحيى حقي في هذا العمل التلفزيوني. اذا كان قد شاهده. وتلقت عينه. ثم على استحياء. ذلك السينما والتلفزيون أن يحسنوا اختيار النصوص الأدبية الصالحة للتمثيل. واذا كانت بعض روايات الأستاذ نجيب محفوظ قد كتبت خاصة عند اعدادها للمسرح أو التلفزيون أو السينما. فليس كل ما يكتب من أعمال أدبية يمكن أن يلقى نفس النجاح. وخاصة اذا كانت هذه الأعمال تعتمد على الأسلوب والأداء والأفكار لا على نتائج الأحداث والأفعال.